UNIVERSAL
LIBRARY

OU_234902

UNIVERSAL
LIBRARY

موقف بين الماديين والمؤمنين

في

علم الغيب

محاضره

لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد التونى
أستاذ اللغة العربية وآدابها
بمدرسة دار العلوم

١٣٤١ هـ — ١٩٢٣ م

كل الحقوق محفوظة
وكل نسخة ليس عليها
توقيع الناشر تعد مسروقة

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر
لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي

كلمة للناشر

طرق السعادة كثيرة الشعب ، متعددة المسالك ، ولكن أهداها سبيلا وأوضحها دليلا ، وأعذبها وردا ، وأشرفها قصدا ، هو الطريق الذى تصل منه المعارف الى النفس فتبدد عنها غياهب الجهل ، كما يبدد نور الفجر دجى الليل ، وتفتح فيها أكمام الخير ، كما يفتح وابل القطر عيون الزهر ، وتبعث فيها نشوة السرور كما يبعث تعانق الحبيبين وقد التقيا بعد بعد الشقة ، وشط المزار .

وكلما كان العلم قليل الطراق لم تلعب به يد البحث ، كان غصن الاهاب ، قشيب الجلباب ، تشتاقه النفس ، ويهيم به القلب ، وعلم الغيب لا يزال في لفائف مهده ، يندب من يتعهده حتى يدرج من عشه ، ويتنسم نسيم الحياة العليل ، وقد هزت الاريحة أستاذ العلم والادب ، ومشكاة الحقيقة والفلسفة الشيخ أحمد التونى فتولى هذا المولود بعطفه وحنانه ، وألقى علينا محاضرة ، كانت كانفاس

النسيم وقت السحر ، أو عقود الجمان ، فى أجياد الحسان ، أو بدور الزرقاء تنشر حلتها الفضية ، على وجه الغبراء .

فقد جمعت الى رقة الاسلوب حسن المعانى ، والى عذوبة التركيب رصانة المبانى ، والى استفاضة البحث جلاء المقصد ، والى استكناه الحقائق عذوبة المورد .

وهى فوق ذلك تعطيك اوضح برهان ، وأدمغ حجة على أن العقل البشرى ، لا يقف فى بحثه عند حد ما دامت الطريق أمامه ممهده ، والسبيل معبده . وأن العقل الشرقى لا يزال هو العقل الشرقى الذى تيقظ والقوم فى سباتهم يغطون ، وأشرقت بربوعه شمس المعرفة ، وهم فى دياجير ضلالهم يعمهون ، وقد تفضل الاستاذ فأذن لى بطبعها رجاء أن يعم نفعها القاصى والدانى . فله منا جزيل الشكر ، ومن الله جليل الاجر .

الناشر

توفيق الرخاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة ألا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين :

الغيب أو ماوراء المدارك المألوفة هو مالا يعتمد فى ادراكه على احدى الحواس من حوادث الامس واليوم والغد فلا يدخل فى دائرة علم الغيب استنباط النتائج من مقدماتها ومعرفة المسببات من أسبابها ، بطريق الاستدلال ، وقياس ماغاب بما حضر ، كعلمنا شفاء المريض قبل حصوله اذا وجدنا العلاج ناجعا ، وكثرة ثمار الارض اذا رأينا النبات ناميا ، وسقوط أمة اذا ألفينا ابناءها متفرقى القلوب ، منغمسين فى اللهو والترف ، منصرفين عن دواعى الرقى وكأنباء المريض أن رعافا سيحدث له قبل حصوله بنحو أربع

وعشرين ساعة ، اذا تكرر له ذلك وعرف بالتجربة أنه لايحدث ألا أذا سبقه عوارض احتقانية يستدل منها على حدوث الرعاف بعد زمن عهده بالتكرار . كل ذلك وما أشبهه خارج عن دائرة علم الغيب الذى هو موضوع بحثنا

الانسان والتطلع الى علم الغيب

فى طبيعة النفس الحرص على كل عزيز ، والتشبث بأهداب كل ممتنع ، وكلما عز الشيء وزاد امتناعا تاقت النفس اليه ، فتهافتت عليه . ولجت فى طلبه . (وحب شيء الي الانسان مامنعا) . يتسلط حب الممنوع على النفس فيعميها ويصمها (حبك الشيء يعمى ويصم) فتخرج عن طاعة العقل المرشد وتخضع لسلطان الوهم المضل فيصور لها من العدم أسبابا تتعلق بها لعلها تبلغ ما تصبو اليه . وربما يصيبها الضر فى سبيل غايتها المحبوبة فلاتشعر به ، ويعميها الطلب فلا تثنى عنه . ومثلها فى ذلك مثل ظمآن غره سراب ، فانطلق وراءه طالبا مايطفئ غلته ، وكلما ازداد جريه ، اشتد ظمؤه فأوغل

فى طلب الماء الوهمى .

والغيب أشد مطالب النفس امتناعاً ، وأعزها منالا ولا سيما الكامن منه فى ضمير المستقبل ، فهو سر غامض تكاد تقطع دونه الافكار ، ولا تحوم حوله الظنون والاوهام وعلى قدر امتناعه كان شوق النفس الى علمه وكشف السجوف عنه . لذلك طرقت له أبوابا عدة ، وسلكت سبلا شتى وكلما أوصد فى وجهها باب ، أو طمست أمامها معالم سبيل طرقت بابا سواه ، وسلكت سبيلا أخرى

تلك حال ابن آدم منذ أحس وجوده أمام ذلكم المطلب العزيز المنال . فتراه وقد تنزل عن كبريائه : ونسى عزة نفسه ؛ لا يأنف أن يجثوا على ركبتيه ، أمام كاهن أو عراف ، أو أبله أو طارقة بالحصى ، أو مستهو أو منجم طالباً أن يكشفوا له الاستار ، عما كمن له من الاسرار ، فى ضمير الغيب .

وقلما يجد عندهم سوى عبارات مبهمة ، أو كلمات

لا صلة بينها ، فيفسرها بما يوحى اليه الوهم ، وما يملى عليه الاعتقاد ؛ لا بما تدل عليه من معنى ان كان لها .

ثم يترك ذلك المجلس الرهيب الذى زاغت فيه الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتقطعت الانفاس ، لانتظار الحكم بالسعد أو النحس ، ممن يدعى أنه قد ملك ناصية الغيب ، يترك ذلك المجلس ضالا وهو لا يشعر ، مضللا وهو لا يعلم .

لنترك الآن هذا المخدوع ، يقطع مراحل الحياة على ضوء رجائه الكاذب ، أو فى ظلمات يأسه القاتل ، ثم لنبحث لعلنا نعلم ، أفى دائرة الامكان العقلى علم الانسان شيئاً من الغيب ، وإذا ثبت أن ذلك ممكن . فهل حدث بعض أفراد ذلك الممكن ؟ واذا ثبت حدوث شيء من ذلك ، فهل يمكن أن يكون خاضعاً لارادتنا منقاد لنجاربنا ، أنى ومتى شئنا ! وهل يكون ذلك خارقا لقوانين الطبيعة ، مبدلا سنن الخليقة ! وهل مبلغ علمنا إلى اليوم بالطبيعة وقوانينها

والاعضاء البشرية ووظائفها والنفس وقواها ، كفيل بتعليل حوادث علم الغيب ؟

كل ذلك مجال بحثى ، وميدان محاضرتى أرجو أن أكون فيه موفقاً .

موقفي أمام المأديين والمؤمنين

أراني الآن ، وقد أزمعت أن أجول بكم جولة فى هذا الموضوع الخطير ، وأقتحم بكم ذلكم المهمه المحتجز عن الادلاء ، كمن يزج بنفسه فى بحر لجى ، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

هأنذا أطرق أبواب ذلكم السر الغامض ، وأحاول رفع الحجب عن موقف البصائر البشرية أمام علم الغيب . فتحت الابواب ، واهتصرت الستور ، ولكن ماذا أرى وراء ذلك ؟ أرى مسلكا وعرا وطريقاً مظلما تكتنف

سالكه العقبات ، وتكثر فيه العثرات ، مطموس المعالم ، يحار فيه الدليل .

ومهمه كغرار السيف محتجز
عن الادلاء مسجور الصياخيد
تجرى العقول به حيرى موله
حسرى تلوذ باكناف الجلاميد

فاقف موقف المتردد بين الاقدام والاحجام ، موقف تحدق بى فيه المذالج ، وتكتنفنى المخاوف

فاذا نظرت يسرة . وجدت علماء الطبيعة والكيماء وقد سلوا فوق رأسى سيوفاً من نظرياتهم ، وساقوا على جنوداً من قوانينهم .

واذا نظرت يمنه ، وجدت علماء الدين ، وحفظة شرع الله الحكيم . راصدين لى ليناقشونى الحساب ، ويذيقونى لو انحرفت عن الجادة مر العقاب . وبيدهم سلاح ماض لا يفل وحجة دامغه لا ترد ، من محكم آى الكتاب المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

فبأى سلاح أذود عن رأيى ؟ وعلى أى أساس من الحجج أقيم بناء دعواى ؟ ومن لى بمصباح عقل كبير يبدد بنوره الساطع تلكم الظلمات ، فأسير على ضوئه فى ذلكم الليل الداجى . وأنى لى عدة بها أصول ، وقوة عليها أعتمد فى معترك المناضلة بالحجه ، والمقارعة بالدليل ، وقد تمالأ على الاقويان ، واتفق على منازلتى المختلفان ، أبناء الطبيعة ، عبدة المادة وقواها ، الذين لا يعرفون لهم رباً سواها ، ولا يؤمنون بقوة وراءها ، وأعوان الحق أنصار الدين ، المعتصمون بحبل الله المتين المتمسكون بكتابه المبين .

أما الاولون فسيقولون :— من هذا الذى هب يبعث ما فى القبور قبل يوم النشور ، ويحيى دولة الخرافات ، ويعيد عصر الخزعبلات ، ويوقظ فى العقول معتقدات فاسدة ، ومزاعم باطلة ، فيردّ العالم الانسانى بعد هذا الرقى العظيم ، الى الجاهليه الاولى يخبط فى ظلماتها ، ويضل فى مفاوز أوهامها ، فينصرف بذلك عن الاهتداء فى سبيل الحياة بنور العلم الصحيح ، المستمد من ينابيعه المعقولة ،

المكتسب من أبوابه الصادقة ، العقل وجنوده الحواس الى التماس العلم والمعرفة ، باستنطاق الحصى والرمل ، أو مناجاة النجوم والارواح ، أو مؤاخاة الجن ، يسترقون السمع ، ليوحوا اليه علم مالم يعلم ، أو بالزهد ورياضة النفس والانقطاع عن هذا العالم ومشاغله ، وتوجيه النفس الى الله عسى أن يمنحها علماً لدنياً ، وفيضاً ربانياً ، من بحر علمه الذى لانهاية له ، كل ذلك وماأشبهه قد جردنا عليه جيوشا من علومنا الصحيحة ، ونظرياتنا الصادقة ، وقضينا الاحقاب المتطاولة فى منازلته ، حتى بدد نا سحب تلك الاباطيل ، بنور العلم الذى لاريب فيه ، فلم يبق لها أثر الا فى نفوس بعض فئات من الناس لم تبلغهم دعوة العلم فلم يستضيئوا بنوره وعما قليل يغلبهم العلم على أزمة نفوسهم ، أو يبيدهم تنازع البقاء ، ذلك بانهم كانوا بنور العلم لايهتدون .

وان لي ولهم عما قليل شأنا يذكر ، تنكشف به الرغوة عن الصريح ، وهنالك تتجلى مواضع الوفاق التى تجمعنا ، وتبدو وجوه الخلاف التى لاتفرقنا الا ريثما يجمعنا الانصاف

وحب الحقيقة، فهى محط رحال الباحثين وملتقى آرائهم أجمعين.

وأما حماة الدين فسيقولون : — من هـذا الذى قام وألوية العلم والدين خافقة على ربوع هـذا العالم يجعل لله شريكا فيما استأثر به دون عباده من علم الغيب ؟ وهل بقى فى الدنيا الى هذا العصر الذى أشرقت فيه على العالم شمس العلم والدين ، من يحاول أن يحيى أضاليل الأولين ، ومزاعم الاقدمين ، التى أنشبت أظفارها فى قلوبهـم المقفرة من العلم ، وهم فى ضلال وثنيتهم يعمهون . ألم يبلغه مافى كتاب الله من الآيات الناطقات بتفرده جل شأنه بعـلم الغيب ؟ فهو عـلام الغيوب — وعنـده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو — عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول — أليس هو القائل على لسان رسوله الكريم: — ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخـير وما مسنى السوء أن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون — ولا أقول لـكم عندى خزائن الله ، ولا أعـلم الغيب ، ولا أقول انى ملك — قل لا يعـلم من فى السـموات والارض

الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون — . وهـذا ما يقوله أهل الدين .

الآن وقد تبين لـكم حرج الموقف ، وقوة الخصوم أترون أنى افر من ميـدان النضال ، وموقف الحساب ، راضيا من الغنيمة بالاياب ، أم أثبت ثبات من قامت عليه الحجة فكابر ، وأدحض برهانه فعـاند ، كلا . فما أنا الا ذو رأى يعرضه على أنظار الناقدين ، مؤيداً بما استطاع من حجة ، فان أصبت وصح رأيى حمدت ، والا عذرت فليس من العار على المرء أن يخطىء فى بعض رأيه ، ولـكن العار عليه أن يجبن عن ابداء ذلك الرأى .

ولو كان لكل ذى رأى غريب مخالف للمألوف من آراء أهل عصره أن يحبسه فى سجن نفسه المظلم ، لما أصلح فاسد ، ولا قوم معوج ، ولما قام بناء رأى جديد على أنقاض رأى قديم ، ولما كان كمال بعد نقص ، ولماتت سنة الرقى ولبقى العالم كعهده يوم وجد .

فكل ما نتمتع به اليوم من وسائل الراحة والرفاهية

انما هو ثمار آراء بدت في أول أمرها غريبة منكرة ، وكم سفهت واستهزىء بأصحابها ، ورموا بالجنون وفساد الرأى فيما اليه يذهبون . ولكن ما لبث ما كان بالامس مزاعم باطلة ، أن صار اليوم حقائق ثابتة ، ذات ثمار يانعه ، فيها منافع للناس .

ألم تكن مبادئ نظريات الطيران والغواصات والبريد الاثيرى آراء غريبة ، طالما سخر الناس من مبتدعيها ، وأنكروها عليهم ، محتجين اذ ذاك بأن تحقيق تلك الاماني تأباه سنن الكون ، وقوانين الطبيعة . وما كانوا يظنون أن وراء تلك القوانين القليلة التى عرفوها ، قوانين كثيرة جهلوها ، فلما دخل فى دائرة العلم ما كانوا يحسبونه أضغاث أحلام ، حوروا من قوانينهم بعضا وعدلوا عن بعض مضطرين إلى اتباع سنة الرقى .

ألم يكن جديراً بهم بعد كل ذلك النفي والاثبات ، والنقض والابرام ، أن يؤمنوا بأن كثيراً من سنن الكون وقوانينه لا يزال سراً كامنا فى ضمير المستقبل ، وأن

خزائن تلك الاسرار التى لاتنفد لن تغلق أبوابها أمام العقول أبداً ، بل لا تزال مفتوحة أمامها الى ماشاء الله ، تستخرج منها فى كل حين سرا ، بالتيقظ لكل حادث غريب لم يعرف سببه ، والتفكير فيه . لا لتماس علة له ، فقد يرفع البحث الحجاب ، عن الاصل تفرع عنه هذا الحادث وأمثاله ،

فيكون ذلك الاصل قانونا جديداً ، يهدم من القوانين القديمة ماخالفه ، ويضم الى ما وافقه

هذه وحدها هى الوسيلة الى تجديد العلم وتنمية المعرفة

ومن عجيب أمر المنكرين أنهم ماسلكوا غير هذه السبيل فى اثبات نظرياتهم ، ووضع قوانينهم فما هى الا الحادثة أو كما يسمونها الظاهرة تبدو أمام أحدهم ولو عرضا ، فيتشبث بها ، ويتناولها بيد البحث والتجربة حتى يردها الى أصل لا يلبث أن يصير قانونا يدون في سجل العلم

فما لهم يحرمون علينا ما أحلوه لانفسهم ، فيوصدوا فى وجوهنا الابواب ، ويطمسوا معالم السبيل وأنما نطرق

يبحثنا الباب الذى طرقوا ، ونسلك السبيل التى سلكوا ، فنحن وهم فى طريق البحث سواء .

فما موضوع بحثنا الا حوادث غريبة ، لم يهتد علمهم الى تعليلها ، وردها الى أصولها ، نبحث أولا فى هذه الحوادث لنميز كاذبها من صادقها ، ونخرج منها ما عسى أن يدخل فيه الايهام والتضليل وخداع النفوس ، مما يكثر دخوله فى أمثال هذه الحوادث ، فلا نقبل فى موضوع بحثنا أى حادث ظهر على يد مشعوذ أو متكسب بقراءة الضمير ، أو الانباء بالمستقبل . فاذا ظفرنا بعد ذلك كله بحوادث لم يشبها شىء من هذا فكرنا فى تعليلها . وردها الى أصلها . ولو كان ذلك الاصل خارجا عن المادة وقواها .

فاى فرق بيننا وبينهم فى طريق البحث حتى ينكروا علينا طريقنا . بل أى هوى فى أفئدتهم دعاهم الى الوقوف فى وجهنا . لافرق الا أنهم أقسموا بالمادة وصفاتها جهد أيمانهم ليعادن البحث فى أى حادث أذا يئسوا من رده الى

أصل مادى ، ولو كان ذلك الحادث مرئيا بالعين مسموعاً بالاذن ملموسا باليد . ذلك بأنهم يخشون أن يقودهم البحث غير مختارين . الى الايمان بقوة وراء المادة ، وذلك يجرهم ، الي ما لا تهواه أفئدتهم ، من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، مع أنهم ما أطلقوا أنفسهم من تلك القيود ، ولا حرروها من هذه العبودية ، الا بعد زمان طويل ، وهناء غير قليل ، ثم ما لبثوا أن ألقوا بأنفسهم فى أحضان المادة ينسبون اليها كل حادث فى الكون ، كأنها المبدأ الفياض ، القادر على كل شيء ، فهى عندهم كل الوجود وكل موجود منها واليها ، بل هى الاول والآخر والظاهر والباطن تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

فما الحياة وما يتبعها من حركة ونمو ، وأرادة وتفكير واحساس وشعور ، وهى أكبر مظاهر القدرة الفائقة التى يستدل بها المؤمنون على وجود الله ، ما هذه كلها عندهم الا بعض آثار المادة وقواها ، فهى لا تخرج عن آثار التفاعلات كيميائيه ، أو ظواهر طبعية .

أنكروا بذلك وجود النفس الخالده ، والقدرة الالهية الفائقة ، فلم يؤمنوا الا بما هو محسوس ، أو أثر لمحسوس .

غرتهم تلك المنافع العظيمة التى أشرقت عليهم من سماء المادة . فظنوا السبب الظاهر أو الفاعل المجازى فاعلا حقيقياً فامنوا به ، ووقفوا عقولهم عليه .

وقديماً عبد الاولون الشمس ، لانها مبعث الحرارة والضوء أساسى الحياة .

ولو سمحوا لانفسهم التى شحذتها كثرة التجارب بالنظر فيما وراء تلك الفواعل المجازية ، وبالتفكير في هذه الحوادث الغريبة التى لم يستطيعوا ردها الى أصل مادى ليلتمسوا لها علة من وراء المادة ، لاهتدوا الى الفاعل الحقيقي ولتجلى لهم عالم الارواح . فكانوا من المؤمنين

ولا حرج عليهم أن يؤمنوا بما لم يروا ، اذا دلت عليه آثاره المرئية .

فقد آمنوا بالكهرباء ، ولم يروا الا آثارها . وقالوا

بوجود مادة الاثير ، ولم تدرك هى ولا أثر من آثارها بإحدى حواسهم ،

غير أن قانون الحركة ، ومنها الحرارة والضوء ، قضى عليهم بفرضها ، لما رأوهما تصلان الينا من أبعد الكواكب السماوية ، وبينها وبين منقطع طبقة الهواء آلاف آلاف الاميال ، خشية أن ينقض قانون الحركة ، وأنها لا تكون الا فى مادة فرضها ، دون أن يعرفوها . ثم توسعوا فى الفرض فقالوا : ما جميع المواد الا ذرات سابحة فى جو الاثير .

أليس جديرا بمن يتوسع فى الفروض الى هذا الحد أن ينظر فيما يهديه البحث الى الحكم بصحته من حوادث علم الغيب ، ليلتمس له علة يفرضها أولا ، فلا يلبث أن يصير الفرض حقيقة ثابتة ، بلى ولكن هى المادة ، حبها يعمى ويصم .

الآن وقد تمهدت أمامى السبيل ، وأخذت ظلماتها تنجلى ، وجر الحقيقة من خلالها يبدو ، أرى فرصة أثبات الدعوى سانحة ، فلا أنهز هارادا دعواى فى طريق الاثبات

ألى دعويين متوسلا بأثبات أولاهما ألى أثبات أخراهما

أما الاولى فهى (علم الانسان شيئاً من الغيب ممكن) وأما الثانية فهى (علم شيء من الغيوب وقع قليلا أو كثيراً لكثير من الناس) بل لا تكاد تجد أنساناً فى الدنيا لم يطلع فى حياته على شيء من عالم الغيب فى يقظة أو فى منام .

أما القضية الاولى فأني أنظر فى طريق أثباتها ألى جهتين ، جهة المؤمنين ، وجهة الماديين .

أما المؤمنون فحجتى أمامهم أنهم يؤمنون بأن الله يعلم جميع حوادث الكون ماضيها ، وحاضرها ومستقبلها وأنه الخالق لكل شيء ، والقادر على كل شيء ، لا يعجزه شيء فى الارض ولا فى السماء

فهل يؤمنون بذلك كله ويروا من المحال على صاحب القدرة المطلقة ، خالق النفس وقواها ، ومالك أزمة العقول وقد وسع علمه كل شيء أن يوحى الى بعض خلقه ما يشاء من بحر علمه الزاخر !

ألا يكون من النقص وقد تنزه عنه جل شأنه أن يعلم كل

شيء ولا يقدر أن يفيض من علمه ما يشاء على من يريد .

فعلم الانسان شيئاً من الغيب بألهام من الله ممكن عند المؤمنين .

وأما الماديون ، فحجتى أمامهم أنهم ماحكموا باستحالة علم الغيب الا لانهم وجدوه خارجاً عن دائرة العلوم التى عرفوها ، مخالفاً لقوانين الطبيعة التى ألفوها .

فما أبواب العلم عندهم الا الحواس الخمس ، تستمد من خضم المؤثرات الخارجية انفعالات تجرى فى جداول الاعصاب الى الدماغ ، مستودع المدارك العام ، وهنالك يصب كل عصب ما حمل من انفعال فى الخزانة الخاصة بحاسته من خزائن الدماغ .

حصروا العلم فى هذه الابواب الخمس ، وجعلوا لكل حاسة فى مداركها مدى لاتعدوه ، وقوانين لا تخرج عنها ورأوا علم الغيب خارجا عن دائرتها ، فحكموا باستحالته :

وانما يصح لهم هذا الحكم ، لو صح لهم أن يدعوا أنهم قد بلغوا غاية الكمال فى العلوم الكونية ، وأنهم قد

أحاطوا علما بجميع سنن الكون وقوانينه ، وأن القدر الذى وصلوا اليه من العلم كفيل بكشف كل سر ، وحل كل غامض ، وتعليل كل حادث ، وأنه ليس فى الامكان أبدع مما كان .

ولكن هذه دعوى بدهية البطلان . ولا أخال أحد الماديين يجرؤ على ادعائها . فكيف يدعي ذلك وينسخ آية الرقى سنة الحياة ، وأمامه عقول العلماء تهدم كل يوم رأيا قديما ، وتقيم على أنقاضه حديثاً ألم يزعزع أركان علوم الطبيعة والكمياء حتى أوشك أن يهدم كثيرا من أصولها وقوانينها كشف الاشعاع وتحول المادة قوة بعد أن قضوا عدة أجيال يرون استحالة استحالة المادة الى قوة

حتى جاء العلامة وليم كروكس الكيميائى الخطير (كان من الماديين ولكنه اعتنق بعد المذهب الروحى وآمن بما وراء المادة) فشاهد انبعاث أشعة من القطب السلبي للأنابيب الكهربائية المنسوبة اليه ، ثم جاء بعده العلامة رنتجن فشاهد أشعة كروكس تخترق الاجسام

غير الشفافة وتؤثر في ألواح المصور الشمسى ثم كشفت بعد ذلك أشعة الراديوم وتحول مادته الى قوة . وليت شعرى أيقفون عند هذا الحد أم يتجاوزونه حتى يؤمنوا بالحالة الروحية أو ماوراء المادة

نعم أنهم أو شكوا أن يصلوا الى هذا الحد ، فقد قالوا ليس للمادة وجود تتميز به عن القوة ، وما المادة الا قوة جمدت أو تكاثفت

لقد أسسوا قوانين الطبيعة والكيمياء على أن المادة مؤلفه من الذرات أو الجواهر الفردة . فاذا يقولون اليوم وقد أنهار بناؤهم على أساس الجوهر الفرد فقد أثبتوا أنه مؤلف من ذرات أو (أيونات) كهربائية ذلك مبلغهم من العلم ، نفى واثبات ، ونقض وابرام ، وهدم وبناء ، فهل يصلح مثل هذا العلم المزعزع الأركان أن يكون أساساً للحكم باستحالة ما خالفه من علم الغيب . كلا . فالحكم لا يثبت الا على أساس متين لا يتزعزع .

بنوا حكمهم باستحالة علم الغيب على ادعائهم أن علم وظائف الأعضاء كشف لهم عن سر مجرى المدارك من الحواس إلى النفس ، استغفر الله ، لا أقول النفس فانهم لا يؤمنون بها ، بل أقول الدماغ أو المخ فانهم لا يعرفون غيره ، ولا يلذ لهم سوى ذكره .

مع أنهم لا يزال بينهم و بين كشف ذلك السر الغامض بعد المشرقين .

فان قصارى ما وصلوا اليه فى هـذا السر الخطير أن المحسوسات من مرئيات ومسموعات وملموسات ومذوقات ومشمومات تؤثر فى الحواس ، فيحدث فى أعصابها حركات اهتزازية تسرى فيها الى مراكز الحس المختلفة من الدماغ فتهتز لها خلايا تلك المراكز ، وهنالك يحدث الادراك ، ثم تسكن تلك الخلايا وقد كمنت فيها هـذه الحركات الى أن ينبهها منبه ، أو يثيرها مثير فيحـدث الشعور بها ثانيـة وثالثة وهلم جرا .

و نتيجة كل ذلك لا تخرج عن حركات اهتزازية تحدث

فى دقائق الدماغ ثم تكمن .

ولكنهم لم يقولوا لنا كيف تحولت تلك الحركات المادية الى فكر ، أو حركات فهمية . وما هو ذلك الشيء الذى أدرك أو فهم ، أهو مادة الدماغ ، لم نر شيئاً طرأ عليها فى حادث الأدراك أكثر من حركات فى دقائقها ، فهل يعقل أن تكون تلك الحركات هي الأدراك ، أم هل يتصور أن تكون مادة الدماغ مدركة بذاتها ، بل كيف تسلم العقول بأن فى طاقة مادة الدماغ بما فيها من حركات كامنة ، أن تنتزع من المعانى الحسية الجزئية معانى كلية عقلية محضة ، وأن ترتب المقدمات البرهانية وتدرك ما بينها وبين نتائجها من التلازم ، وأن تعرف ما بين المعانى من مناسبة أو مباينة أو مشابهة أو مخالفة ، حتى تبرز لنا من تلك الحركات الفكرية تعريفاً جامعا مانعا ، أو برهانا ساطعاً ، أو حكمة بالغة ، أو خيالا شعريا بديعاً .

ذلك مالا تستطيع العقول أن تسلم به . وأن من يقول أن مادة الدماغ مدركة بذاتها ، يلزمه أن يقول أن ألواح

المصور الشمسى تدرك مايقع عليها من الصور ، وأن الساعة التى تدلنا على الوقت ، تدرك دقائق الزمن ، بل أن القرطاس الذى نسطر عليه أفكارنا ومعانينا يفهم هذه المعانى، ويدرك تلك الافكار ، فهل من سبيل الى خروج الماديين من هذا المضيق .

نعم يتسنى لهم الخروج من هذا المضيق ، وحل هذا المشكل من طريق واحد اذا سمحوا لانفسهم به .

ذلك أن يسلموا بأن وراء مادة الدماغ كائناً غير مادى ، هو العقل أو النفس أو الروح ، وأنه هو الذى يدرك ، وما المادة ألا وسيلة لايصال المدركات اليه .

ولكن ما أشق التسليم بذلك على نفوسهم . فهو يقودهم بعد أن امتزج الألحاد بنفوسهم ، وملك شغاف قلوبهم ، الى الايمان بالله غير مختارين . فان من يضطره حادث الأدراك لانه أثر النفس المجردة عن المادة الي الايمان بها من طريق الاستدلال بالأثر على المؤثر ، خليق به أن ترشده آيات قدرة الله العجيبة الي الايمان بالله .

وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

فيخرج من زمرة الماديين، الى جماعة المؤمنين، وهنالك لايجد فى صدره حرجا من التسليم بأمكان علم الانسان شيئاً من الغيب .

الى هنا تبين تداعى الأركان التى أقام عليها الماديون الحكم باستحالة علم الغيب ، فثبت أمكانه .

أما وقد دخل علم الغيب فى دائرة الممكن عند المؤمنين ، ورغم أرادة الماديين ، فلا يعز علينا أن نثبت وقوع بعض أفراد ذلك الممكن .

وما دليلنا فى ذلك الا حوادث موثوق بصحتها . فبعضها مما دون فى سجل المجامع العلمية ، ومنتديات المباحث النفسية التى أنشئت في أمهات المدن العلمية ، في أرقى ممالك العالم ، فضمت بين جوانحها من رجال العلم كل منقطع القرين ، حتى أصبحت مشرق كل علم جديد ، أو مخترع مفيد ، وبعضها مما جاءت به الكتب السماوية : —

أما هذه فانما سوقها الي المؤمنين ، ولا أحتاج فى

اثبات صدقها الى دليـل فانها من كلام الله ، ومن أصدق من الله حديثاً ؟

وأما تلك فكفى دليلا على صدقها ، أن الذين دونوها بعد أن أقروها ، هم أكبر أهـل الارض علماً ، وأدقهم فى البحث نظراً ، وأكثرهم فى الإختراع أثراً ، وأعرفهم بمداخل الخطأ فى الأحكام ، ومسارب الشطط إلى المدارك ومستقر الخداع من النفس ، ومواطن الأهواء من أحناء الضلوع ، وفيهم الطبعى والكيميائى والحيوى الذين لم يألفوا الخضوع لغير الآلات المعدنية والتجارب الحسية ولا يقرون لشىء بوجود إلا إذا قلبوه على كل وجه فلمسوه وأبصروه وتناولته آلاتهم الحديدية فقاسته ووزنته وقدرته وفيهم أساتذة علم النفس بأكبر الجامعات وبحكم مهنتهم لابد أن يكونوا من أعرف الناس بدسيس الوساوس ، ودبيب الهواجس ، وضلال الحواس ، ذلك الى أنهم فى بيئة ألسنة النقد فيها مطلقه وأقلام الكتاب غير موثقة فهل

بعد ذلك كله نرتاب فى صدق مادونواوصحة ماروووا . وهنا يجدر بى أن أذكر أسماء بعض هؤلاء .

فمنهم الفرد رسل ولس كاشف ناموس النشوءوالارتقاء هو ودرون فى وقت واحد دون أن يطلع كلاهما على مباحث الآخر .

ومنهم وليم كركس كاشف إشعاع المادة ومخترع المكثف الكهربائى المنسوب اليه ورئيس المجمع العلمى البريطاني

ومنهم ميرس أستاذ علم النفس بجامعة كمبردج

ومنهم السير أوليفرلدج رئيس مجمع المباحث النفسية وأحد أعضاء المجمع العلمى بانجلترا وصاحب اليدالطولى فى ترقية مخترع مركوني (البريد الأثيرى) وأبعاد مداه

ومنهم سدجوك رئيس مجمع المباحث النفسية

ومنهم كميل فلامريون أكبر فلكي فى العالم

ومنهم سيزار لمبروزو المشرع الكبير واضع علم الجرائم

ومنهم ريشارد ريشيه من علماء وظائف الأعضاء وأحد أعضاء مجمع العلماء والأستاذ بالجامعة الطبية بباريس ومنهم المستر بلفور ولنجلى وجن كلكس وباركس ووليم جيمس وزلتر وغيرهم كثير .

كل أولئك وأضرابهم كانوا من عبدة المادة وقواها المفتونين بجمال آثارها . قضوا اجل حياتهم عاكفين على عبادتها لا تعنو وجوههم الا لها ولا تخضع نفوسهم لغير أحكامها ولا يسبحون الا بحمدها بكرة وأصيلا .

وما حداهم الى الدخول فى المباحث النفسية والخوض فى غمار ما وراء المادة الا أنهم كانوا ألد أعداء المذهب الروحى فأعدوا عدتهم وشحذوا عقولهم للقضاء عليه بكشف حيل أهل الخداع والتضليل والايهام والتخييل خشية أن يستفحل خطبهم فيفسدوا على الناس عقولهم .

ولكن لأمر ماعاد المنكر مؤمناً والهادم بانيا والمعادى مسالما ذلك بأن تتابع المشاهدات الحقة يؤيد بعضها بعضاً غلب القوم على أزمة عقولهم فألقوا بأنفسهم فى أحضان

المذهب الروحى فكانوا أعوان دولته وأنصار دعوته وما أقوى الايمان بعد جحود واليقين بعد شك ؟

ولا عجب فالحق غلاب والمتمسك به ظافر ولو كان ضعيفاً والباطل مغلب والمعتصم به مهزوم ولو كان قويا

تلك سنة الحق فى كل زمان ومكان يبدو ضئيلا قليل الأعوان فلا يلبث أن يشتد ساعده وتكثر أنصاره فيسود رغم أنوف المبطلين .

الآن وقد عرفتم مكان حوادث علم الغيب من الصدق أذكر لكم أهم أنواعها ممثلا لكل بما يسعه المقام

فمنها الأحلام ومناجاة الارواح وحوادث النوم المغناطيسى وإنباء ذوى الأمراض العصبية .

أما الأحلام فمن أمثلتها (١) ما كتب به الأستاذ ردمين الى أبيه ببلاد الانجليز وكان يبحث عن المناجم جنوبى أفريقية قال : —

عندى أمر غريب أريد أن أخبرك به ذلك أن البرت المشتغل بالمعادن هنا قال لى صبيحة يوم الأحد

منذ ستة أسابيع لقد ماتت أمى فقد حلمت بها هذا الصباح على سريرها ميتة وأقاربى حولها وقوف ولقد قالت وهى تجود بنفسها أنها ما عادت تراني فسخرت منه وحاولت صرف هذا الهاجس عنه ولكن عبثاً حاولت ثم طلب الى أن أدون ذلك فى مذكرتي ففعلت وفى هذا الاسبوع جاءه كتاب من زوجه تخبره فيه بموت أمه فى تاريخ حلمه وأنها قالت وهى تسلم الروح ماعدت أرى ألبرت وقد كنت أخبرت بعض أصحابى هنا بما قاله لى هازئاً بتصديقه الأحلام فما كان أشد دهشهم يوم جاء كتاب زوجه .

(٢) ومنها ما كتب به ثقة من رجال المحاماة : قال : — الليلة كذا نفى عنى النوم وأقض على المضجع وما زلت أتقلب على فراشي حتى دنت الساعة الثانية بعد نصف الليل وما كدت أسمع دقتها حتى خيل الى أنى فى قطار يسير بين سنت بول

وأوماها فلما دنا القطار من مدينة شل لايك أشرفت من نافذة المركبة فسمعت صراخا شديدا يدل على نكبة نزلت بأنسان ثم وقف القطار فجأة ونزل عماله وبيدهم المصابيح وطفقوا يبحثون فى العجلات فنزلت وسألت عما حدث فقيل لي أليس لك عينان تبصران ؟ ألا ترى القطار سحق أنسانا وهذا نجيعه يخضب العجلات ؟ وقد علق دماغ الرجل وبعض شعره بأحداها ثم سار القطار وأنا مضطرب الفكر لهذا الحادث المزعج

ولما أصبحت قصصت ما رأيت على جماعة كانوا يفطرون معى فى منزلى ثم غدوت ألى محل عملى ولما عدت فى المساء تناولت صحيفة سنت بول فوجدت فيها وصف الحادث كما رأيت وقصصت

ثم قيل لهذا المحامي هات برهانك على أنك قصصت رؤياك على من كانوا معك فى منزلك قبل خروجك منه

وأتى منهم بشهادات مكتوبة فكانت مطابقة لما كتب وكتبت الصحف .

(٣) ومنها أن امرأة اسمها السيدة بكت فى صباح يوم كذا بعد أن خرج زوجها الى محل عمله أحست انقباضا شديداً تبعه ذهول فرأت كان أخاها (وكان ملاحا بميناء شيكاغو) واقف فى سفينة بملابس الملاحين وقد التف حول رجليه حبل وهو يحاول التخلص منه ثم رأته وقد هوى فى البحر وتوارى عن عينيها فسترت وجهها بيديها وقالت لقد غرق وفى اليوم عينه تسلم زوجها برقية من شيكاغو بنعى أخى زوجه وأنه هلك غرقا بينما كان يقود سفينة الى ميناء شيكاغو فأسرع الرجل الى منزلة ولم يرد أن يفاجىء زوجه بذلك الخبر المزعج أشفاقا عليها من شدة وقعه فقال لها أن أخاك مريض بمستشفى شيكاغو فقالت كلا بل غرق فقد رأيته وهو يغرق ووصفت له مكان الحادث وملابسة وموقفه من السفينة فسافر الرجل الى شيكاغو وبعد مشاهدة مكان

الحادثة وسؤال الملاحين والاطلاع على البلاغ الرسمى وجد الامر كما وصفت زوجه

(٤) ومنها رؤيا سيدنا يوسف التى حكاها الله تعالى عنه بقوله . — إذ قال يوسف لابيه يا أبت أنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال يابنى لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا . وقد تحققت تلك الرؤيا فقد سجد له أبواه واخوته وكانوا أحد عشر رجلا وفى ذلك يقول الله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا)

(٥) ومنها رؤيا ملك مصر وتعبير سيدنا يوسف لها وفى ذلك يقول الله تعالى . — وقال الملك أنى أرى سبع

بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ياأيها الملا أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين . فعبرها سيدنا يوسف بما حكاه الله عنه بقوله : — قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون . وقد تحقق ذلك كله كما أنبأكم التاريخ

ويدخل فى حوادث علم الغيب ما روى عن سيدنا عمر رضى الله تعالي عنه أنه قال فى أثناء خطبة له يا سارية الجبل الجبل (اذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره) وكان سارية قائدا لجيوش المسلمين بالعراق أيام الفتوح فضايقه المشركون فى بعض المعارك وهم بالانهزام

وكان بقربه جبل يتحيز اليه فاطلع على ذلك عمر وهو يخطب على المنبر بالمدينة فناداه ياسارية الجبل وسمعه ساريه وهو بمكانه ورأى شخصه هنالك فعمل بما أشار به فنجا بجيوشه .

وأما مناجاة الأرواح فمن أمثلتها [1] ماورد فى كتاب الفيلسوف كنت فى النوم المغناطيسى قال : —

أن صائغا طالب أرملة سفير هو لندا بأستكهلم بثمن أدوات فضية اشتراها زوجها منه قبل وفاته ولكن لما كان الثمن باهظا ولم يكن من عادة زوجها أن يبقى عليه دينا ولم تجد الوثيقة الدالة على وفاء الدين همها الأمر فاستدعت الباطنى المشهور بمناجاة الأرواح سويد نبرج وطلبت اليه أن يكشف لها عن الحقيقة فوعدها أن يفعل ثم انصرف وبعد ثلاثة أيام زارها فى منزلها وكان فيه جماعة من الناس فقال لها أن زوجك دفع الثمن قبل وفاته بمدة شهور وأن

الوثيقة فى الخزانة التى فى الغرفة العليا فقالت لقد بحثت فيها فلم أجد فقال لقد ناجيت روح زوجك فدلنى على مكانها بأن أفتح القسم الأيسر من الخزانة فأجد لوحاً إذا ماسحبته وجدت فوقه خزانة سريه وفيها تلك الوثيقة مع رسائله الخاصة فلما سمعوا منه ذلك نهضوا جميعاً إلى الغرفة العليا وهنالك وجدوا كل شيء كما أخبر الروح .

(٢) ومنها مارواه العلامة داسية عن ناسك غريب الأطوار كان مقيما بظاهر فلا دلفيا وله شهرة واسعة فى علم شيء من الغيب قال : —

أن ربان سفينة سافر الى أوربا وأفريقية ثم طالت غيبته وانقطعت عن زوجه أخباره فاستولى عليها القلق فلجأت إلى هذا العراف فى منزله وطلبت اليه أن يكشف لها عن مصير زوجها فقال لها البثى هنا حتى أجيئك بما تريدين ثم تركها وانساب إلى غرفة أخرى وأغلق الباب وراءه وطالت عليها غيبته حتى ملت الانتظار فنهضت الى

باب الغرفة و نظرت من خلال رتاجه فرأت الناسك طريحا على أريكة كأنه ميت لاحراك به ثم عادت الى مكانها وانتظرته حتى هب من رقاده وعاد اليها قائلا : —

أنى رأيت زوجك فى أحد ملاهى لندن فسألته عن سبب انقطاع رسائله عنك فقال هى كذا وكذا وذكر الأسباب وعما قليل يؤوب اليك سالما . وبعد أيام عاد الربان إلى أمريكا فسألته زوجه عن سبب انقطاع أخباره فذكر لها الأسباب التى ذكرها الناسك فلم تكتف المرأة بذلك بل ذهبت بزوجها الى بيت الناسك فلما وقع نظره عليه قال لها لقد لقيت هذا الرجل فى أحد ملاهى لندن وهو الذى أخبرني أنك مشغولة البال لانقطاع أخبارى عنك فذكرت له أسباب ذلك ثم توارى عن عينى بين الجموع ولم أره بعد .

وأما النرم المغناطيسى (١) فمن أمثلة حوادثه ماروى عن اللجنة التى أقامها المجمع (الأكاديميه) الطبى بباريس للبحث

فى حوادث النوم الفناطيسى واليكم ملخص تقرير لها فى بعض الحوادث قالت : —

اجتمعنا يوم كذا فى غرفة بمنزل أحدنا وكان معنا المسيو كازو المصاب بداء الصرع وقد انتدبت اللجنة المسيو فرواسالك لينومه فحضر بعد نصف ساعة من وقت حضورنا فاستقبله أحدنا وأجلسه فى غرفة أخرى دون أن يعلم المريض بحضوره وطلب اليه باسم اللجنة أن ينوم المريض وهو فى مكانه وبعد أربع دقائق أخذ المريض يذبل ويتململ ثم نام بعد تسع دقائق . فسأله أحدنا متى تصيبك نوبة بعد اليوم فقال بعد أربعة أسابيع وعين الساعة والدقيقة ثم سأله آخر متى تصيبك نوبة أخرى فقال وقد تردد بعد خمسة أسابيع من تاريخ الأولى وعين الساعة والدقيقة وقد شاهدنا حدوث النوبتين فى الوقتين اللذين عينهما دون أن تتقدما أو تتأخرا دقيقة واحدة ومن عجيب أمره أنه كان يصف وهو فى نومه العلاج المناسب له وما كان ينجع فيه غيره

وأما أنباء ذوى الأمراض العصبية فمن أمثلتها مارواه الاستاذ لمبروزو قال : —

أن رجلا أصيب بمرض عصبي فأنبأ في الرابع من شهر فبراير سنة ٩٠٤ أن معرض كوموا سيحترق وكانت شركة الحريق بميلان تضمن ذلك المعرض وكانت أسرة المريض تملك من أسهم هذه الشركة ما قيمته ستة آلاف جنيه ولانها جربت صدق أنبائه اعتقدت أن المعرض لابد أن يحترق فتضيع قيمة هذه الاسهم فسارعت الى بيعها وفي اليوم السادس من شهر يوليو من السنة عينها احترق المعرض .

تعليل حوادث علم الغيب

أرى أن علل هذه الحوادث لا تخرج عن علتين أو فرضين .

الاولي — تأثير عقول الاحياء بعضها فى بعض

أو انتقال الافكار من عقل الى آخر بغير الوسائل المألوفة كالكلام والكتابة والاشارة وليس هذا التعليل ببعيد عن العقل ولا خارج عن قوانين الطبيعة فاذا كان الفكر هو انفعال النفس بحركات فى دقائق الدماغ أو هو تلك الحركات نفسها وكانت جميع المواد ومنها مادة الدماغ ذرات سابحة فى جو الاثير وكان الاثير هو المادة في أقصى درجات مرونتها فليس ببعيد عن متناول العقول أن تنتقل حركاتنا الفكرية من عقل الي آخر بأن تؤثر أفعالنا العقلية فى الاثير المحيط بنا تأثيراً ينتقل الى عقول أخرى ويؤثر فيها كما تؤثر الاجسام النيرة فى الاثير المحيط بها تأثيرا ينتقل الى أجسام أخرى وينيرها وكما تؤثر الاجسام المكهربة فى الاثير تأثيراً ينتقل الي أجسام أخرى ويكهربها . وعلى هذا الاساس بنى تخاطبنا بالبريد الاثيرى

ولكن هل خضع للتجارب تفاعل العقول كما خضع لها البريد الاثيرى فسخره الناس في مرافق حياتهم ؟ نعم

أن تفاعل العقول ولا سيما ما كان منه عن قرب أو شك أن يخضع للتجاوب وما شرط نجاح التجربة الا العثور على شخصين يؤثر عقل أحدهما فى عقل الأخر وقد توافر ذلك لبعض العلماء المشتغلين بالمباحث النفسية فنجحت تجاربهم .

فمن العلماء الذين خضع تفاعل العقول عن قرب لتجاربهم السير الفرلدج فقد عثر على فتاة يتأثر عقلها بعقل غيرها فأجرى عليها تجاربه وطريقه فى ذلك أن يعصب بعض الحضور عينى الفتاة حتى لا ترى شيئاً ويوضع شىء أمام الشخص الذي يحاول نقل فكره اليها فيحصر فكره فيه ويطلب من الفتاة أن تعبر عما تصورت فكانت تذكر الشىء الذي وضع أمام المفكر وبعد رفع العصابة عن عينيها ترسمه

(١) فمن تلك التجارب مفتاح وضع أمام المفكر وطلب من الفتاة أن تعبر عما تصورت فقالت أرى شيئاً لامعاً يشبه المفتاح

(٢) ومنها ثلاثة أزرار ذهبية في علبة من الجلد وضعت أمام المفكر وطلب منها أن تعبر فقالت أري شيئاً لا معا لا بل ثلاثة أشياء ثلاثة خواتم كلا بل ثلاثة أزرار وبعد رفع العصابة رسمت الازرار الثلاثة وحولها خطا يدل على شكل العلبة .

(٣) ومنها مثلث متساوى الساقين قائم الزاوية فقالت أرى مثلثا متساوى الساقين ولم تقل قائم الزاوية .

وقد عثر على فتاة أخرى فأجري عليها تجارب كثيرة فنجحت .

(٤) ومنها أنه أتى بعد عصب عينى الفتاة بورقة فضية وصنع منها صورة فى شكل أبريق الشاي فوضعت أمام المفكر وهو الطبيب هردمان وطلب من الفتاة أن تعبر عما تصورت فقالت أري شيئاً مشرقا يشبه بطة من الفضة ثم رسمت شكلا يشبهه بعد رفع العصابة وقد قال الطبيب أنى قلت فى نفسى وانا أنظر الى هذا الابريق ما أشبهه

بصورة البطة .

ثم عثر على فتاة يتأثر عقلها بعقلين فى آن واحد فأجري عليها تجاربه

(٥) فمنها أنه اتى بورقة صفيقة ورسم على أحد وجهيها مربعاً وعلى الآخر صليباً وجعل أحد الرجلين ينظر فى وجه والآخر ينظر فى الآخر وطلب من الفتاة أن تعبر فترددت وقالت أرى شيئاً يذهب بشيء ولكن بعد رفع العصابة رسمت مربعا فى داخله صليب .

هذا هو التعليل الاول وأنكم لترون أن لايخرج بنا عن نواميس الطبيعة المألوفة فلا تضيق به صدور الماديين ولذلك أوشكت مسأله انتقال الافكار أن تدخل فى دائرة العلم المألوف .

ولا يقدح فى صحته هذا الفرض أنه ليس كل العقول تتفاعل فربما كان لتفاعل العقول شروط لاتزال مجهولة فبعض العقول توافر فيه شروط التأثير فأثر وبعضها توافر فيه

شروط التأثر فتأثر وبعضها لم تتوافر فيه هذه ولا تلك فلم يؤثر ولم يتأثر يشهد لذلك ما نراه من تباين استعدادنا فى أمور شتى فمنا من خلق مستعدا لان يكون رياضياً أو موسيقاً أو شاعراً ومنا من لم يخلق فيه استعداد لفن من هذه فامتنعت عليه ولو مارسها طويلا وأن بعض الالحان الموسيقية يؤثر فى نفس مالا يؤثره فى أخرى

وقد تكون جميع العقول مستعدة للتعاعل غير أن بعضها تعوزه الدربة التى تظهر آثار الاستعداد يؤيد ذلك أن من الذين تتأثر عقولهم بعقول غيرهم من كانوا في أول أمرهم كثيرى الخطأ ومازال صوابهم يتغلب على خطئهم بالممارسة حتى صاروا لا يخطئون

التعليل الثانى

ان النفس وهى مزملة بالكساء المادى الغليظ مكبلة بقيود المادة فى سجن الجسد تكون مداركها ضيقة النطاق محدودة المدى

فلا تستضيء بقبس من نور العلم ولا تتمتع بنفحة من

نسمات المعرفة الا مايخلص اليها من تلك النوافذ الضيقة نوافذ الحواس

ثم هى رغما من تلك القيود المادية نزاعة أبى عالمها الملكى فيما فى طبيعتها الروحية من الاستعداد لمدركات الملأ الاعلى تتصرف فيما تسرب اليها من المعانى الحسية الجزئية فتنتزع الكليات من الجزئيات وتدرك الصلات بين الاسباب والمسببات والتلازم بين النتائج والمقدمات فيحدث لها نوع من ادراك ما غاب عنها بما حضر لديها .

غير أنها لاتقوى على التوغل بعيداً في الاستنباط لقلة المعلومات التى تعتمد عليها ولخضوعها فى حركاتها الفكرية لقوانين المادة وحكم الزمان والمكان ولانشغالها بجسدها المادى تدبر شؤونه وتتلقى ما تحمل اليها حواسه من لذات وآلام

ذلك الى ما يكتنف حياتها المادية من تنافس وتزاحم فى مرافق الحياة ينشأ عنهما رذائل تدنسها وتذهب بنظام

فطرتها وتطفىء أنوار بصيرتها

تلك حالة النفس مادامت مغللة بأغلال الجسد

كلما تحركت فى المعقولات المحضه تطلب الصعود الى ملئها الأعلى متشبهة به فى مداركه جذبتها المادة الى أسفل حيث المحسوسات تشغلها

فاذا ما أطلقت من سجن الجسد وتخلصت من قيود المادة انطلقت إلى عالم الأرواح أو العالم الملكي وهنالك لاتخضع فى مداركها لقوانين المادة وحكم الزمان والمكان فيستوى عندها القاصى والدانى زمانا كان أو مكانا. تشرف على حوادث الكون من عل فترى مالانرى فتتسع دائرة مداركها وعلي قدر غزارة المعلومات يكون التوغل فى الاستنباط. وانما تكون لها تلك الحرية المطلقة وهذا الأدراك البعيد المدى بعد الموت وقطع كل صلاتها بالبدن.

ودون تلك الغاية مراتب تختلف فيها مدارك النفس

سعة وضيقا باختلاف صلتها بالبدن قوة وضعفا فعلى قدر ضعف الصلة بالبدن تكون سعة المدارك . فالنفس في حال ضعف ارتباطها بالبدن تقرب من الحالة الروحية المحضة فتدرك بمعزل عن الحواس وتحظى بشيء من عالم الغيب إما بالتوغل فوق العادة فى الاستنباط أو بالاتصال بأرواح الموتي ومناجاتها أو بأرواح الاحياء وتلقي وحيها أو بالتوجه الى الله يقذف فيها من نور علمه ما يشاء ويوحى اليها ما يريد .

ومن هنا يتجلى السر فى أن أصناف المدركين لشيء من الغيب قلما يحدث لهم ذلك ألا فى أحوال الذهول أو الغيبوبه وسكون الحواس كأحوال النوم الطبعى والمغناطيسى والنوبات العصبية والاحتضار وحصر الفكر فى شيء واحد وانقطاع النساك عن شواغل الدنيا إلى مراقبة الله ففى كل هذه الاحوال يضعف ارتباط النفس بالجسد حتى يوشك أن ينقطع اتصالها بالمادة فيكشف لها شيء من عالم الغيب . وهذا هو الفرض الثانى

تطبيق حوادث علم الغيب على هذين الفرضين

اذا عرضنا حوادث علم الغيب على الفرض الأول وهو تفاعل العقول وجدناه لا يصلح أن يكون علة لجميعها فانما يرد اليه علم ماحدث فكان له صورة فى بعض العقول حتى يتسنى لنا أن نفرض انتقالها من عقل الى آخر كرؤيا المحامى حادثة القطار ورؤيا ألبرت موت أمه أما علم مالم يحدث قبل حدوثه والانباء به ، أو بعد حدوثه ولكن بطريقة تخرجه عن دائرة تفاعل العقول كمعرفة أخبار ، من شطت به الدار ، مع تمثل العراف لذلك الغريب فى دار غربته ، وسؤاله لتعرف أحواله ، فلا يصلح تفاعل العقول أن يكون علة له كالأنباء باحتراق معرض كومو وكرؤيا سيدنا يوسف سجود أبويه وإخوته ورؤيا ملك مصر سنى الخصب وسنى الجدب وككشف الناسك عن مصير الربان وتمثله له في أحد

ملاهى لندن .

فلا مناص في تعليل كل ذلك من الرجوع الى التعليل الثانى وإن أباه علينا الماديون .

القرآن الكريم وحوادث علم الغيب

بحثت فى آى القرآن الكريم التى تدل بظاهرها على أن علم الانسان شيئاً من الغيب ممتنع عليه واطلعت على آراء المحققين من المفسرين فيها فلم أرها دالة الا على تفرده جل شأنه بالسيطرة على عالم الغيب واحاطة علمه بكل ما فيه فليس لمخلوق فى الارض ولا فى السماء أن يطلع على شيء منه الا بأذنه فلا تكون دالة على امتناع علم الأنسان شيئاً من الغيب بالهام من الله

والآية الوحيدة التى يمكن أن يتشبث بظاهرها المانعون هى قوله تعالى : — عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فأنه يسلك من بين يديه ومن

خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وقد أجمع أهل السنة على تفسيرها بما لا تدل معه على منع إطلاع الله غير الرسول على شيء من الغيب وللمفسرين فى تفسيرها آراء أقربها الى الصواب رأيان . الأول أن قوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا من قبيل عموم السلب كما فى قوله تعالى (ان الله لا يحب كل مختال فخور) وأن المراد بالاظهار المنفى الاطلاع على الكل وجه بحيث يحصل به أعلى مراتب العلم وأن الاستثناء متصل فيكون المعنى : — عالم الغيب فلا يطلع أحدا على أى غيب من غيوبه اطلاعا يفيد أعلى مراتب العلم الا من ارتضى من رسول فانه يطلعه على ما تقتضى الحكمة أن يطلعه عليه إطلاعا يفيد أعلي مراتب العلم وطريق إطلاع الرسول المرتضى أن يسلك من بين يديه ومن خلفه حراسا من الملائكة يحفظونه من تعرض الشياطين لما يطلع عليه اختطافا أو تخليطا .

وهذا المعنى لا ينافي ان يطلع الله غير الرسول المرتضي على شيء من غيبه إطلاعا لا يفيد أعلى مراتب العلم بل يفيد ظنونا صادقه .

والثانى . أن فى الآيه سلب العموم وأن الاستثناء منقطع فيكون المعنى : — عالم الغيب فلا يطلع أحدا على كل غيبة فلا ينافى ذلك أن يطلع من شاء على بعض غيبه لكن الرسول المرتضي يطلعه على بعض غيبه بطريقة خاصة وهى أن يسلك من بين يديه ومن خلفه — الخ . . والله أعلم

الخاتمة

ما حدا بى الى الخوض فى غمار هذا الموضوع إلا أنى رأيت ، وياهول ما رأيت .

رأيت المذهب المادى يحصد عقائد الدين ويقوض أركان الايمان وينفث فى الصدور سموم الالحاد ويبذر فى النفوس بذور الاباحة حتى طارت الفضيلة من أوكار القلوب لانها لم تجد فيها من الايمان أليفا . وخرجت النفوس من كنف

الشرائع السماوية لانها لم تجد من يدعو الى سبيلها بالحكمة والموعظة الحسنة . فهبت ترتع فى رياض الملاهى ، وتسبح فى لجج المعاصى ، تقتادأعنتها الاهواء ، الى حيث الشقاء ، تقترف المخازى ليلا ونهارا ، وتنغمس فى حمأة الرذائل سرا وإعلانا ، فلا سلطان على السرائر ، من دين زاجر ، تسوق الى الخير الرغبة فى ثوابه ، وتصرف عن الشر الرهبه من عقابه . ماالذي يرجّى من مخلوق مادى يعتقد أنه لا نفس له ولا حياة بعد هذه الحياة ؟ شعاره — ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحي وما نحن بمبعوثين — أينتظر منه أن يتجمل بفضيلة ، أو يكون مصدرا لمكرمة ، كلا . فالفضائل أنما هى صفات تكمل بها النفوس ، والمادى فى اعتقاده أنه لا نفس له . فكيف يجمل بالفضائل نفسا ينكرها ؟ وما الذى يدعوه إلى تجشم التخلق بمكارم الاخلاق ؟ ولاى يوم يدخر ذخيرة العمل الصالح وهو لا يؤمن الا بالحياة الدنيا ؟ فمثله لا بدأن يكون شيطانا رجيما عبد اللذاته ، أسير الاهوأنه ، ذلك الى أن شرائع المدنية الحديثة

ليس فيها شرعة زاجرة تكبح من جماحه، وتلطف من بوائقه، وتدرأ سيل شروره . فلقد أرخت له العنان يرتع فيما يقولون أن حرية شخصية ، ولعمر الحق أنها لمنتهى الهمجية .

رأيت كل ذلك ورأيت هذا المذهب الخبيث ينتشر فى العالم المتمدين انتشار الوباء تحمله المدنية الحديثة الى كل بقعة حطت فيها رحالها وألقت عصا تسيارها ورأيت طلائع الالحاد تزحف الى قلوب طلاب العلم من أبنائنا فخشيت أن تحتلها . فتلافى ما نلاقى فى سبيل جلائها .

فأردت أن أسلحها بسلاح الايمان، وأجهزها بجهاز اليقظة، وأدلها على جهات الضعف من عدوها، ومداخل كيده لها، حتى تقوى على رده خائبا مقهورا . فتوسلت الي ذلكم الغرض الاسمى بالبحث فى موضوع علم الغيب، فبلغت بعون الله تعالى ما قصدت ، وتم لى بحمده كل ما أردت .

﴿ بيان الخطأ وصوابه ﴾

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١	٥	اللبل	الليل
١	٦	فبها	فيها
١	٩	غصن	غض
٢	٨	السييل	السبيل
٦	١٢	يصيبا	يصيبها
٦	١٤	قانطلق	فانطلق
٧	١١	يجثوا	يجثو
٩	٥	المأديين	المادين
١٠	١٤	العقاب	العتاب
١٢	١٣	بهتدون	يهتدون
١٤	٥	الآياب	الأياب
١٦	٥	الأصل تفرع	الاصل الذى تفرع
١٨	٦	حزروها	حرروها
١٨	٧	هناء	عناء

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٢١	٧	المادبين	الماديين
٢٤	١٠	أنهار	انهار
٢٦	١	الدماع	الدماغ
٢٦	١٣	يرهانا	برهانا
٢٨	٨	المادبين	الماديين
٢٩	٧	مسنقر	مستقر
٣٥	١١	منزلة	منزله
٣٥	١٤	ملابسة	ملابسه
٤٠	٩	نطره	نظره
٤١	١	الفناطيسى	المغناطيسى
٤٤	٢	للتجاوب	للتجارب
٤٦	٩	أن	أنه
٤٦	١٣	صحته	صحة
٤٧	٤	موسيقا	موسيقيا
٤٧	٧	للتعاعل	للتفاعل

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔

لائبریری

جامعہ عثمانیہ

۱۔ ارکین عملہ کے علاوہ کسی شخص کو لائبریری کے کسی حصہ میں جانے کی اجازت نہیں ہے۔

۲۔ لائبریری کے ارکین کو کتابیں جاری کرانے کے لئے اپنے شناختی کارڈ پیش کرنے ہوں گے۔

۳۔ طلباء کو صرف دو کتابیں ایک وقت میں جاری کرائی جائیں گی۔

۴۔ ہر کتاب کے لئے علیحدہ درخواست دینی ہوگی۔

۵۔ طلباء کو کتابیں جاری کرانے کے لئے اپنے شناختی کارڈ پیش کرنے ہوں گے۔

۶۔ ایک کتاب کو دوسری کتاب سے تبدیل کرانے کے لئے پہلی کتاب کو واپس کرنا لازم ہے۔

۷۔ کتابوں پر کسی قسم کا نشان نہ لگایا جائے۔

۸۔ قلمی نسخے اور خطوط کی کتابیں جاری نہیں کی جائیں گی۔